دراما المشروع .. مساحة للتميز والتعلم معاً
المشروع كقصة تعلم تبنيه المربية .. وكقصص إنتاج يحكيها الأطفال

وهيبة حسين

تروي المربية مشروعها كما فكرت فيه:

لقد حلّ فصل الخريف، وحان معه موسم قطف الزيتون، وكما هو معتاد في رياض الأطفال، فقد حان معه تدريس وحدة الزيتون، وحدة تسعى إلى تزويد الأطفال بكل ما يخص شجرة الزيتون، من حيث المعرفة والقيم والفائدة التي يجنيها البشر من تلك الشجرة، وارتباطهم بها تاريخياً. لكن قد تكون الوحدة وبعض ما فيها جديداً على الأطفال، لكني كمربية قد كررت ذلك لسنوات، وأصبح الأمر بحاجة إلى تجديد.

بعد تفكير، قررت أن أقدم الوحدة بطريقة تعليم مغايرة؛ ألا وهي طريقة «عباءة الخبير»، وأرى أثرها على الأطفال، ومدى التعلم الذي اكتسبوه من خلالها، حيث قمت بالتالي بتحضير خطتي التي ترتكز على مجالات التعلم المختلفة التي ستتضمنها العباءة، والتي ارتكزت على معارف ومهارات وقيم جديدة سيستكشفها أطفالي

وهيبة حسين

عبر العمل، وسيكتسبونها من خلال الانخراط في المشروع، والتي كانت كالتالي:

معارف	
العلوم والطبيعة	• خصائص شجرة الزيتون • أماكن زراعتها وحاجاتها للنمو • فوائدها للكائنات الحية وبخاصة الإنسان. • طرق العناية بها
منطق رياضي	• الألوان والأحجام • العد والتصنيف • مفهوما المسافة والزمن
لغة	• مفردات لغوية جديدة خاصة بأجزاء الشجرة – منتوجات الشجرة- • موسم القطف – أدوات القطف والجمع – شركة – شعار- بروشور ...
فنون	• تصميم شعار • تصميم بروشور

مهارات	
تطوير مهارات إنسانية	• الاتصال والتواصل مع آخرين • تقبل الرأي الآخر • النقاش والحوار • الانتخاب والتصويت
تطوير مهارات حسية وعقلية	• استخدام أدوات • تجريب أفعال جديدة • تقديم تفسيرات وحلول • عمل مقارنات • بناء شروحات وتأويلات ومعانٍ

قيم	
طرح قيم جديدة واستكشافها	• رمزية شجرة الزيتون للإنسان وعلاقتهما معاً • علاقة الشجرة بالتاريخ والأرض • احترام الطبيعة • قيمة العطاء
ترسيخ قيم اجتماعية عبر الفعل والممارسة	• العمل التعاوني • تقبل الآخر • تقدير منتجاتنا ومنتجات الآخرين • الاحترام المتبادل

وبعد اختيار موضوعة المشروع، بدأ التفكير في محورته حول فكرة مركزية، وانبثق لدي سؤال مركزي وهو:

كيف يمكنني أن أوظف شجرة الزيتون كوسيلة تعلم للأطفال تغطي مناطق التعلم التي سعيت إلى تحقيقها، وتحكي الموضع ضمن الحياة بوصفها قصة مجتمع وتاريخاً لثقافته، بحيث تجذب اهتمامهم وانتباههم وتستحوذ على تفكيرهم؟

بعد التشاور مع زميلتي في الروضة خولة ريان التي كانت تعمل معي طيلة فترة المشروع، جاءتنا فكرة تصميم كتيب تعريفي مصور (بروشور) من إنتاج الأطفال، محوره شجرة الزيتون، ويحتوي على صفحات تظهر من خلالها أهمية شجرة الزيتون، وفوائدها، وصفاتها، وطرق زراعتها والعناية بها، وارتباطها بالتاريخ الفلسطيني والفلاح، ورمزيتها للسلام والتمسك بالأرض.

فانطلقنا بالتعرف على ما هو البروشور من حيث الشكل والمحتوى، عبر زيارة إلى معرض في غرفة مجاورة للصف الذي عملنا به، قمنا بإعداده للأطفال، بحيث يحتوي على مجموعة كبيرة من البروشورات. تعرفوا عليها، واستكشفوها بكل حواسهم، ثم عادوا إلى صفهم يتحدثون عنها، وعن ما لفت انتباههم بخصوصها، من حيث تنوع أشكالها وألوانها ومحتواها، وقبل العودة إلى منازلهم،

الأطفال يتعرفون على أشكال مختلفة للبروشور ضمن مشروع المجاورة لمربيات الطفولة المبكرة.

طلبت اليهم أن يفكروا ببروشور خاص بهم، ويقوموا بتصميمه بالتشارك مع أهاليهم، بحيث يحتوي على موضوع يحبونه، ويتضمن صوراً وعبارات بسيطة، وقد كانت هذه أول خطوة يتشارك فيها الأهل معنا في المشروع.

في اليوم التالي، أحضر الأطفال بروشوراتهم الخاصة بهم، وقاموا بعرضها أمام بعضهم البعض والتحدث عنها، من حيث سبب اختيارهم لموضوعها، وشكلها، ومحتواها، فتنوعت الموضوعات بين حيوانات وسيارات ولعب وملابس وفاكهة، ثم قرروا أن تكون لهم مؤسسة متخيلة تصنّع البروشورات.

عبر الاتفاق والتخيل لعبوا دور أنهم موظفو شركة تصميم، فاختاروا لها اسماً وشعاراً اتفقوا عليه، عن طريق العملية الانتخابية والتصويت، حضروا مكاتب عملهم ومحتوياتها، وزعوا المهام بينهم، وبينما هم بعملهم تصلهم رساله عبر الإيميل من زبون في الصين، يطلب منهم تصميم بروشور موضوعه شجرة الزيتون، لأن لديه قطع أراض بمناطق مختلفة يريد زراعتها بأشجار الزيتون غير المعروفة في بلده، لكنهم يستخدمون زيتها وثمارها بكثرة عندهم، وحتى يساعدوا هذا الرجل، قرروا التعرف في البداية على كل ما يخص شجرة الزيتون، ولتحقيق ذلك انطلقنا من زيارة ميدانية لأحد الحقول المزروعة بهذه الأشجار، قسنا المسافات بين كل شجرة وأخرى، تلمسنا لحاء الشجر، تعرفنا على أوراقها وثمارها، قابلنا مُزارعاً وتحدثنا إليه، وسجلنا كل ما قاله على جهاز الهاتف المحمول، عدنا إلى مقر شركتنا وأحضرنا خارطة للتعرف على بلد الصين من حيث الطبيعة والمناخ، والأرض، والموقع الجغرافي، وحتى اللغة.

اخترنا معاً شكل البروشور والصور التي تلزمنا، والموضوعات التي سيتضمنه، لوّنا بعضها ورسمنا البعض الآخر، عملوا بشغف كبير وكفريق واحد، صممت كل مجموعة صفحة من البروشور بموضوع فرعي يخص شجرة الزيتون، جمعناها معاً فكان المخرج في النهاية بروشور بصفحات عدة حول شجرة الزيتون من إنتاج الأطفال.

الأطفال خلال عملهم على إنتاج بروشور خاص بشجرة الزيتون.

الأطفال خلال عملهم على إنتاج بروشور خاص بشجرة الزيتون .

قصة تميز داخل المشروع

استمر العمل في عباءة الخبير كمشروع تعلمي مدة 3 شهور، وكان له أهداف عدة سعيت إلى تحقيقها كمربية تؤمن بالدور المشترك بين الروضة والبيت في تحقيق تعلم محوره الأطفال.

بالتالي، كان للأهل مشاركات عدة طول فترة المشروع؛ ففي المرحلة الأولى كان لهم دور في مساعدة أطفالهم على اختيار موضوع وتصميم بروشور حوله، والمرحلة الثانية كان عبر مساعدة أطفالهم على تصميم شعار للشركة الخاصة بهم كمقترح يتم التصويت عليه لاحقاً، وأخيراً عبر دعوتهم لمشاركتنا في يوم نعرض فيه مشروعنا ومنتجاته لكي يروا من خلاله أطفالهم عبر أفعالهم ومنتجاتهم من جهة، وتوطيد ارتباطات الروضة والأهل في سياق فهم الأطفال وتعليمهم من جهة أخرى – فكان لنشاط عرض المشروع وكل منتجاته على الأهل أكثر من غاية، وهي:

- غايات تعليمية: أن يسرد الأطفال قصة مشروعهم لأهاليهم.
- غايات تربوية: من خلال تعريف الأهالي بأطفالهم وإشراكهم في عملية تعليمهم.
- غايات مجتمعية: عبر خلق مسؤولية جمعية بين الأهل والروضة.
- غايات مؤسساتية: من خلال إعطاء دور أكبر للروضة في المجتمع وإعطاء دور للأهل كشركاء في الروضة.

تم بالتالي دعوة الأهالي الذين حضروا للروضة يحملون معهم شغفاً كبيراً لمعرفة مجريات المشروع ومنتجاته، وقام الأطفال كل مع أبيه أو أمه بسرد قصة المشروع عليه، متسعيناً بصوره داخل المشروع التي سبق وأن تم تحضيرها وتعليقها على الحائط، وكان على أحد الآباء أن يقوم بتسجيل وكتابة كل ما يقوله طفلهم عن المشروع.

أثناء النشاط تعجب الأهل كثيراً لدقة التفاصيل التي كان يرويها أطفالهم لهم، ومن بين هؤلاء الأطفال ظهرت هبة التي كانت تعمل في المشروع مع زملائها، حيث قادت أمها إلى الصورة التي تظهر هي فيها داخل المشروع، وبدأت تسرد لها تفاصيل المشروع كله. فقامت والدتها بالتقاط صور لها أثناء ذلك عبر هاتفها المحمول.

لم تكن الصورة التي تم التقاطها من الأم صورة استثنائية لها ولطفلتها فحسب، بل لي أيضاً كمعلمة، حيث استطعت أن أرى ما تحمله الصورة من مضمون أكبر من كونها صورة عادية، فحين اخترت الصورة وقررت أن أستخدمها لتكون صورة طفلة في مشروع، عدت إلى المادة التي وثقتها بالكتابة والفيديو والصور الفوتوغرافية للمشروع، ووضعت هبة في بؤرة تأملي وبحثت عن كل ما يخصها أو له علاقة بها عبر المشروع. فوجدت ما يلي:

الأطفال خلال عملهم على إنتاج بروشور خاص بشجرة الزيتون .

لقد لاحظت اهتمام الطفلة هبة بالمشروع منذ البداية، حيث حاولت في كل مرة أن تضع بصمتها في داخله، ولكنها كانت تتنازل عن رغبتها لقرار الأغلبية، لتبقى جزءاً من الفريق، فعندما زرنا معرضاً للبروشورات، قامت هي بسؤال صاحبة المعرض عن طريقة تصميم البروشورات، واهتمت أن تصغي وتفهم. ثم حين قررنا معاً إنشاء شركة لنعمل فيها كفريق لتصميم البروشورات، ووصلنا لمرحلة اختيار اسم للشركة، أرادت الطفلة أن تكون الشركة باسمها.

أما عندما انتقلنا إلى تصميم شعار للشركة تقوم هبة برسم شعارها ووضعه داخل قلب، تعرض الشعار على زملائها وتوضح دلالاته، فتحوز على الرضى والإعجاب منهم.

فاستطعت أن أرى الآن بوضوح أن هبة كانت منذ بداية المشروع، تحاول أن تتميز، أو أن تكون قيادية في المشروع، واستطاعت بذكائها الطفولي الذي يحتاج لمساحة كمشروع تعلمي ليظهره، حيث عملت هبة على إظهار تميزها الفردي عبر الجماعة، لم تكن تعارض، بل كانت تجد طريقة لإقناع الآخرين مع العلم أنها طفلة هادئة جداً.

واستطعت بالتالي أنا أيضاً كمعلمتها أن أرى تميزها هذا بفعلها الذي ظهر أثناء المشروع، وبحديثها الذي ظهر أثناء وجود أمها، وبالصورة التي أظهرتها كطفلة حية في ذاكرة المشروع، وعبر عدسات العين والكاميرات، عدسة الكاميرا التي التقطتها وعدسة الهاتف الذي حملته معها أمها للبيت لتعرضه لآخرين.

هذا مشروع تعليمي واحد، لكنه يحتوي على العديد من المشاريع في داخله، مشروع مبني على قصة واحدة، لكن في داخله 36 قصة أخرى هي قصص أطفال كانوا محوره.

حين توجهت لوالدة هبة وسؤالها عن انطباعها عن هذا المشرع، كما وصفته لها طفلتها هبة، قالت:

لقد ساهم المشروع في إثراء وإغناء شخصية ابنتي هبة، فقد أصبحت تجيد التحدث والحوار، تحب كثيراً التعبير عن نفسها، ولا تحب التغيب عن روضتها.

أما أنا كمربيتها، وبناء على تجربتي الخاصة، فيمكنني القول: إن الصورة في الكاميرا أو عبر العدسات هي صورة جامدة، أما الصورة التي يحملها الأطفال عبر معايشتهم لتعلمهم فهي صورة دائمة حية مدى الحياة، هكذا هي صور أطفالي في مشروعنا وفي بيوتهم وروضتهم.

إن هذا النمط الجديد من التعليم يخلق دوراً مغايراً لنا كمربيات ولأطفالنا، يساعدنا أكثر على كشف أطفالنا والتعرف إليهم عن قرب، وبالتالي اكتشاف قدرات جديدة لديهم لم تكن لتتضح لنا بطرق التعليم المعتادة، إضافة إلى أن هذا النوع من التعليم يمكّننا كمربيات من أن نكون مراقبات لذواتنا ومتأملات في دورنا.

روضة السلام - بيت دقو

الأطفال خلال عملهم على إنتاج بروشور خاص بشجرة الزيتون.